المحاضرة الثالثة :-المدرسة الوظيفية و المدرسة التوزيعية

أولا: المدرسة الوظيفية:

يعني هذا الاتجاه بكيفية استخادم اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها افراد المجتمع للتواصل الى اهداف وغايات معينة والجانب الوظيفي لا ينفصل عن النظام اللغوي نفسه وتداخل الأدوار والمشاركين في النظام النحوي حسب نمط معين في كل لغة مرتبط ارتباطا مباشرا بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة.

فالاتجاه الوظيفي يربط بين النظام اللغوي،وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعاني ويتمثل ذلك في الأمور التالية:

1- وجود خيارات متعددة أمام المتكلم ضمن نظام اللغة عندها يتخلق سياقا له وظائف محددة.

2- ارتباط اللغة بالمجتمع وعلاقاته الثقافية كالتراث والتقاليد والعادات والأعراف ، فالمعطيات الاجتماعية تفرض على المتكلم سلوكالغويا معينا.

3- تقدم عناصر النظام اللغوي الوظيفة التي يقصدها المتكلم مجتمعة اذ لا يستقل عنصر واحد بآداء الوظيفة، إنما تتظافر العناصر جميعا لآداء مايريده المتكلم.

4- أن التحليل الوظيفي لجملة ينحصر في بيان الوظائف التي تؤديها اللغة في البيئة اللغوية، بقيامها على أن المستوى النحوي والصرفي والدلالي تتفاعل خلال عملية الاتصال اللغوي، وهذا ماينتج المستوى الكلامي

والجملة تتألف من مسند theme ومسند اليه peheme بحسب المنظور الوظيفي المسند هو مايحمل معلومات معروفة أو سبق الإشارة إليها من خلال السياق

ومن الاتجاه الوظيفي في تحليل التركيب الاسنادي النهج الذي جرى عليه اندريه مارتينه ويمثل مارتينه لفهم التركيب الاسنادي بالمثال الفرنسي التالي:

Hier il y avait fête au village

أي: البارحة كان عيد أو احتفال في القرية

فكلمة hier لها دلالة استقلالية

والتركيب جار ومجرور au village له استقلال عن مضمون الجملة الأساسي .

ولذلك يمكن عند مارتينه أن نستغني عن كلمة hier وتركيب au village دون أن تمس دلالة الجملة الأساسية وقولنا il y avait fête هو التركيب الاسنادي الذي لا يمكن اختصاره اذ لا تستطيع كلمة fête أن تؤدي وحدها خطابا لغويا ومع ذلك فإن مارتينه يعطي كلمة fête عيد أو احتفال أهمية بالغة، لأنها تقدم فحوى الكلام (أي المحمول) لكن هذا المحمول لايكون حاضرا إلا عن طريق آداة تحصيله؛ أي تجعله على قيد الوجود وهكذا يتبين لنا أن مارتينيه ركز على المحمول أي فحوى الخطاب الذي لايمكن اختصاره، لكن اقره بضرورة إيجاده عن طريق ما دعاه بآداة التحصيل، أما ماسوى ذلك فهو من الإلحاق . يقول مارتينه :« ويقودنا ذلك إلى أن أصغر قول لابد أن يشتمل على عنصرين يشير أحدهما إلى مضمون أو حدث ويشد الانتباه إليه وتسمية المسند، ويشير الآخر إلى مشارك إيجابي أو سلبي وتسمية المسند إليه، ويكون تقويم دوره أيضا على هذا الأساس ».

فهناك لدى مارتينيه عناصر ثلاثة يمكن أن تحلل في الجملة وهي :

1-العنصر المركزي وهو المحمول (فحوى الكلام أي المسند)

2-آداة التحصيل (غالبا مايقوم الفاعل بالتحصيل في اللغات الهندية الأوربية)أي المسند إليه فاعل مثل:

(he was killed) هو قُتل ، (he was given a book)

3-أنماط الإلحاق، أي التكملة نحو النعت والعطف والإضافة والظرف .

وعلى هذا الأساس، فالمسند إليه عند مارتينيه عنصر إلزامي لايمكن حذفه كما لايمكن حذف المسند ، ويميز المسند إليه من أنماط الإلحاق بالموقع الذي يحتله ضمن الجملة، وهذا الموقع يحتم حضوره الإلزامي.

وهناك آراء جعلت الفعل في مركز العبارة ، أو في محورها، من ذلك ماذهب إليه (تنبيير) من عدا الفعل النواة المركزية للجملة والفعل عنده هو المحدّد (Determiné) على حين أن المُفعول به أو المعمول أو المتمم هو المحدّد (Determinat) وهنا الفاعل والمفعول كليهما يقع في مستوى واحد من بناء العبارة - عنده – ويبين الرسم التالي طوق تنبيير

1 الجملة : la jéune fille lit un beau livre الفتاة تقرا كتابا جميلا .

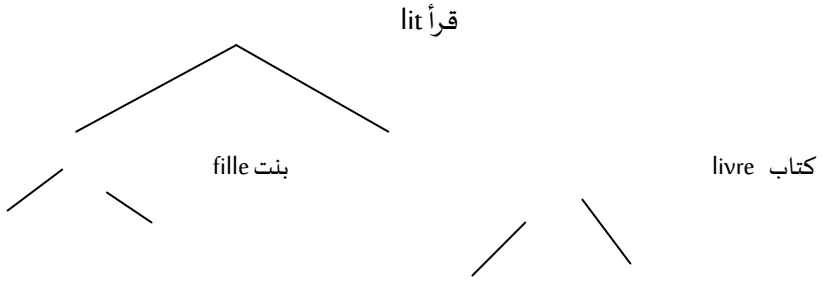

2 التحليل:

الفعل : هو نواة الجملة الرئيسية والمحدّد

الاسم: fille و livre نواتان من االدرجة الثانية (الأول فاعل والثاني مفعول به مباشر لانهما نقطتان للفعل)

الصفة: jeune والآداة la تتبعان الاسم fille

الصفة: beau والآداة un تتبعان الاسم livre

وهكذا تظهر بنية العبارة عند تنبيير في ندرج متسلسل يشرف عليه الحدث أي الفعل

ويسمي تنبيير العلاقات القائمة بين مختلف العناصر المذكورة بعناصر الإدماج .

آراء أخرى لمارتينيه:

1 التقطيع المزدوج: يُظهر هذا التقطيع ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره ورغباته الذاتية واهتماماته التي تمثل تجربة في جوهرها يسعى إلى إيصالها للغير ويكون ذلك إما بصنعة او حرفة أو حركة دالة ، سلوكات لا ترق إلى الإبلاغ اللغوي، لذلك تفكك التجربة الإنسانية التي تيسرت صياغتها في اللغة الى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم الى عدد من الوحدات الصوتية

أ-التقطيع الأول : وفيه تحصل على وحدات ذات مضمون معنوي (مدلول) وصوت ملفوظ (دال) وسماها مونيمات

ويمكن استبدالها إلى وحدات أخرى ضمن قائمة مفتوحة (قلمي، ساعتي ،أو استبدالها ضمن قائمة مغلقة مثل (قلمي ، قلمك ، قلمنا ، قلمهن ..... الخ والوحدة (ي) وحدة نحوية تنتمي إلى قائمة مغلقة محدودة- **وتقسم المورفيمات في الكلمة الى قسمين:1-وحدات حرة: (free morphemes**

2-وحدات مقيدة: (bound morphemes) :-سوابق préfixes - دواخل infixes- اللواحق suffixes

ب-التقطيع الثاني : ويمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات مجردة في كل دلالة ولكنها مميزة تسمى بالفونيمات.

2 الإقتصاد اللغوي: وتحدث عن في مؤلفه (اقتصاد التغيرات الصوتية)، إذ يقول: «لايمكن أن نحصر معنى الاقتصاد في معنى التقتير كما فعل باسمي BASS حيث قابل كلمة اقتصاد بكلمة التبذير ... بل إن الاقتصاد يشمل كل شيء : تقليص كل تمييز غير مقيد، وإظهار تميزات جديدة والابقاء على الوضع الراهن، فالاقتصاد اللغوي هو التآلف بين كل القوى المتواجدة ».

ويرى مارتينيه أن الانسان يعيش في صراع قائم بين عالمه الداخلي وعالمه الخارجي،بين حاجيات التواصل التي تؤدي إلى تطوير اللغة من جهة، وخمول الأعضاء ونزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلبه عملية اللغة والتذكر من جهة أخرى .

ثانيا: المدرسة التوزيعية:

تمهيد: تسعى النظرية التوزيعية (Distributionnalisme) إلى وصف الوحدات اللسانية وتحديدها في لسان ما من أجل تصنيفها في شكل أقسام أو فئات نحوية بعد أن يتم استخراجها من المدونة[1]؛ إذ تقتصر على الوصف والتصنيف.

1- مفهوم التوزيع:

إن طبيعة المنحى اللساني التوزيعي جعلته ينفرد بالرؤية الوصفية الظاهرية للأشكال اللغوية ، فهو يتو خى لتحقيق ذلك معاينة السياق الكلامي ، ومحاولة ضبط توارد المؤلفات اللغوية في هذا السياق حسب المواقع .
فالتوزيع هو الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن الجملة؛ إذ لكل وحدة لسانية يمكن أن تجزأ إلى عناصر مستقلة ومتميزة، كما يمكن إرجاع تكوين الصيغة الصرفية النحوية إلى عوامل معينة تتحكم في مقبولية ترتيب عدد من الفونيمات، لتكوين بنية صرفية، وترتيب عدد من المورفيمات، لتكوين بنية نحوية ويتحدد في النهاية مفهوم التوزيعية، بأنه" توزيع عنصر ما، أو هو مجموع كل المحيطات التي يقع فيها، أي مجموع المواضيع المختلفة، أو علا قة عنصر ما بالعناصر التي تشغل الموقع ذاته .[2]
إنّ المتكلم – المستمع المثالي –للغته حين إحداثه الفعل الكلامي يشعر كأنه يقوم بعملية انتقاء للعناصر اللسانية التي تحقق المحتوى الفكري لكلامه في الواقع ، بيد أنه في الحقيقة " ليس حرا سوى في اختياره لوحدات الفئات التي ترد عادة معا، ولا يقوم باختيارها إلا في الترتيب التي ترد فيه هذه الفئات ."
لذلك فإن العناصر اللسانية التي لها التواتر نفسه ، في السياق نفسه يقال إن لها التوزيع نفسه، فهي بذلك بدائل توزيعية، لأن التحليل اللساني الذي يعول على موقعية فئات الكلم، وتوزيعها ضمن سياقها المألوف "يتوخى استكشاف آلية لغة من اللغات، من خلال وضع لائحة للوحدات الأساسية في كل مستويات الدراسة اللغوية، ومن خلال تحديد الفئات التي تنتمي إليها واستكشاف تآلفها فيما بينها."

ونشير إلى أن الدراسة اللسانية في نظر التوزيعيين، ليست البحث عن موج ودات مفترضة وراء الأشكال اللغوية تعد أسبابا لها ولانتظامها ، إن كل شيء في الوصف اللساني ، يجري على السطح المنطوق ،أو المكتوب ، وكل محاولة تسعى إلى البحث عن أشياء خلف السطح هي وهم منهجي عقيم ، ولهذا يصر التوزيعيون "على استبعاد المعنى استبعادا كليا من التحليل اللغوي ، ليس لأنه لا أهمية له ،بل لإيمان أصحاب هذه المدرسة ، بأنّ المعنى لا يمكن إخضاعه لنوع الدراسة الوصفية ، العلمية الدقيقة ، التي يمكن أن تخضع لها

[1]- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص152.
[2]- وينظر: أحمد خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها.

الأنظمة الظاهرة الأخرى."

2-مبادئ التحليل التوزيعي :

يقوم هذا التحليل على دراسة توزيع الوحدات اللسانية التي تؤلف المدوّنة corpus ، ونبدأ بتعريف هذه المصطلحات التي اطلعنا على بعضها سابقا :.

أ-المدوّنة: هي جملة الأقوال التي يجمعها الباحث من أجل تحليلها ، وهي تعتبر عينة بالمعنى الإحصائي للكلمة ، أي أنها تمثل اللغة أو جانبا من جوانبها يراد دراسته . فهي إذن متزامنة (آنية) ومحدودة.

ب- الوحدات :إذ أن عمل الإنسان يقوم على تركيب عناصر منتمية إلى مستويات مختلفة . ويتحدد كل عنصر، حسب توزيعه على الصعيد الذي ينتمي إليه . وحسب وحدات الصعيد الأعلى .

-وباعتبارها جملة تحولات حرة ومتكاملة .

-وبتعارضهما على صعيد الوحدات الدالة كما في النموذج الزوجي الأدنى.

وتمثل المدونة، في هذه الرؤية التوزيعية، الواقع اللغوي الذي يلتزم به الدارس اللغوي البنيوي، من أجل وصف لغة ما، وتصنيف وحداتها، ووضع قواعدها ونظرياتها ، وتتشكل هذه المدونة من مجموعة من العبارات التي يجمعها الباحث ويتخذها عينة يعتمد عليها بشكل موضوعي مثبت لدراسة ظواهر اللغة في هذه المدونة المغلقة على نفسها، ما يستدعي الدراسة الوصفية التحليلية ذات المنهج العلمي في البحث، والمستجيبة لمقتضيات الدراسة الآنية، التي تستهدف وصف لغة المدونة بناء على ما يسمح به هذا النظام من القوانين والمبادئ التي لا تستطيع أن تجسد فيه خصائص الكلية والانتظام الداخلي والتحويل؛ لأن العناصر اللغوية على قدر كبير من التماسك فيما بينها، وعلى انسجام فعال يجعل منها – على الرغم من اختلافاتها- كلا واحدا في نص الكتابة، فالعنصر اللغوي لا قيمة له في ذاته، بل إنه يستم د قيمته من تقابله وتجاوره مع بقية العناصر، التي تستمد بدورها وظيفتها من علاقتها بالواقع الخارجي، بل من انتظامها الداخلي، الذي يعمل على شد العناصر بعضها إلى بعض بشكل يبدو فيه النظام ثابتا منغلقا على نفسه، وإن كان يبدو خاضعا لمبدأ التحويل، ذلك أن ارتباط النظام بالتحويلات الممكنة فيه لا يمنع من تماسك عناصره فيما بينها، والمحافظة على القوانين الخاضعة لها، بحيث تنتج عنها تغيرات جوهرية عامة في أساس النظام كله، والذي يجعل هذه التحويلات جوهرية عامة هو خضوعها لقوانين النظام المطردة تلك القوانين التي تنطوي فيها كل الوحدات والجمل الممكنة في لغة ما.

-النزعة الذهنية: La mentalisme و هي التي تقحم الأفكار والمفاهيم في تحليل الوحدات اللسانية ، لذلك حاولت إحدى المدارس اللغوية الناشئة في و .م .أ أن تنهج نهجا لا يمت بصلة إلى النزعة الذهنية . ويمكن إدراج هذا التيار تحت عنوان "التحليل التوزيعي " بغض النظر عن بعض الفروق الهامشية .

جـ- الوحدات الدالة : وهي مؤلفة من وحدات صوتية phonèmesوموزعة داخل العبارة .ويناسبها هذا التعريف عند تحليل الوحدات الدالة في التركيب.

د- طرق التحليل التوزيعي أو ضروب التوزيع : يحدد توزيع الوحدة اللسانية بقولنا أنه مجموع القرائن التي تساعد على ظهور هذه الوحدة في المدونة. ليكن لدينا جزء من مدونة وهمية تضم الوحدات التي سنقوم بتوزيعها.

لقد انفردت الدراسة اللسانية التوزيعية باتخاذها منهجا ، وأساليب محددة ، وأكثر وضوحا ودقة ، مما كان مألوفا آنذاك ، في الدراسات التركيبية التقليدية " فالتحليل التركيبي التوزيعي يمثل أولى المحاولات لوصف البنية التركيبية وصفا بنيويا تما"

فالمنهج الأساسي المعتمد في تحليل البنية التركيبية لدى التوزيعيين ينعت بالتحليل إلى مؤلفات ، وهو التحليل الذي عن طريقه تفكك بنية الجملة ليس على أساس أنها مؤلفة من طبقات مرصوفة بعضها بجانب بعض ، بل على أساس أنها مؤلفة من طبقات من مكونات الجملة بعضها أكبر من بعضها الآخر ، إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات ، لكون المورفام (morphème) وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل، نجد في مقدمة التوزيعيين بلوم فيلد (Bloom Field)، الذي يرى اللغة مؤلفة من وحدات تمييزية يظهرها

التقطيع أو التقسيم، ويعتمد منهجها على الطريقة الشكلية للوصول إلى المكونات المباشرة والمكونات النهائية ، فمثلا الجملة :" المسكين عمر فرّ مسرعا"

المكونات المباشرة: 1- مسكين عمر 2-فرّ مسرعا .

المكونات النهائية: 1- مسكين 2- عمر 3- فرّ 4- مسرعا

بحيث تكون المكونات النهائية عبارة عن وحدات لسانية غير قابلة للتجزئة.

إنّ مصطلح مؤلّف (constituant)يطلق في اللسانيات التوزيعية على كل مورفام ، أو ركن كلامي الذي يمكن له أن يدرج ضمن بناء أكبر ، وتنقسم مؤلفات الكلام إلى قسمين :
أحدهما : المؤلفات المباشرة (Les constituants immédiats) وهي مكونات الجملة القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر .
والآخر : المؤلفات النهائية (Les constituants terminaux) وهي المؤلفات غير القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر .
إن هذا النمط من التحليل أمسى سائدا في كل منوال يسعى إلى وصف البنى التركيبية، أي الوصول إلى الوحدات الصرفية مكونات نهائية.

ولكن تطوير دعائم هذا التفكير تعود إلى زيلنغ سابيتي هاريس (Zelling Sabbetai Harris) 1909؛ الذي يرى أن المعنى ليس عنصرا رئيسا في تقسيم الجمل، وتوزيع مفرداتها متأثرا في ذلك بآراء بلوم فيلد الذي يرى أن المعنى هدف بعيد المنال، وعلى الباحث – حتى لا يدخل في متاهات تبعده عن لب الدراسة- أن ينصرف عنه إلى ما هو أهم وعلى الرغم من هذا التوجه، إلا أنه وجد نفسه عند التطبيق يتحدث عن العلاقة الوثيقة بين المعنى الماثل في ذهن المتكلم، والمورفيمات المستعملة والتركيب الجملي الذي تنتظم فيه هذه المورفيمات انتظاما توزيعيا [3]، في مقاله (transformer grammar) "النحو التحويلي"، والذي تحدث فيه عن استعمال الرموز لتحليل الجملة، كما تحدث عن الجملة التوليدية، وعن القواعد والقوانين اللازمة لتوليدها، ولم يكن هاريس لينشر هذا المقال – كما يعتقد بعض الدارسين- لولا إحساسه أن منهجه الجديد (التوزيعي) الذي أخذ يدعو له لا يصلح لحل كثير من قضايا اللغة لكنه لم يصرح بذلك،بل حاول تعديل فكرته بطرح رؤى جديدة. وقد اشتهرت ثلاث طرق للتوزيع:.

1-طريقة الأقواس: تقوم هذه الطريقة على وضع أقواس متداخلة لتمييز المقاطع /الوحدات الداخلة في التركيب، ونمثل لذلك بالجملة الآتية: (((ال) (ولد)) ((يشاهد) ((ال)(مباراة))))

القوس: 1-18 =الجملة القوس:9-10= العنصر الفعلي:يشاهد.

القوس: 2-7=الركن الاسمي:الولد. القوس:11-16=مركب اسمي: التلفاز

القوس:3-4= أداة التحديد أوالتعريف:ال.

القوس:5-6=عنصر اسمي:ولد القوس:12-13= آداة التعريف: ال

القوس:8-17= الركن الفعلي: يشاهد المباراة. القوس14-15=عنصر اسمي:تلفلز.

[3]- خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها(منهج وتطبيق)، ص48 .

1 - **طريقة علبة هوكيت**:نسبة لشارل هوكيت: وترتب الجملة بتوزيع في هذه العلبة تصاعديا أو تنازليا :

<table>
<tr><td colspan="6">الجملة =ج</td></tr>
<tr><td colspan="6">الفتاة المجتهدة تراجع الدرس</td></tr>
<tr><td colspan="3">مركب اسمي</td><td colspan="3">مركب فعلي</td></tr>
<tr><td colspan="3">الفتاة المجتهدة</td><td colspan="3">تراجع الدرس</td></tr>
<tr><td>مكون اسمي</td><td colspan="2">مكون اسمي</td><td>فعل</td><td colspan="2">مكون اسمي</td></tr>
<tr><td></td><td colspan="2"></td><td></td><td colspan="2">الدرس</td></tr>
<tr><td>الفتاة</td><td colspan="2">المجتهدة</td><td>تراجع</td><td>أداة تحديد</td><td>اسم</td></tr>
<tr><td>أل+اسم</td><td colspan="2">ال+اسم</td><td></td><td>ال</td><td>درس</td></tr>
<tr><td colspan="2">ال فتاة</td><td>ال مجتهدة</td><td>تراجع</td><td colspan="2">ال درس</td></tr>
<tr><td colspan="6">الجملة</td></tr>
</table>

فالتمثيل التوزيعي للجملة حسب علبة هوكيت، تمثيل تصاعدي أو تنازلي، يبدأ بالتحليل إلى مكونات أولية، ومنه تحليل العناصر الأولية إلى عناصر قد تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر، وهكذا، إلى الوصول إلى أصغرها، وهي المؤلفات النهائية للجملة في العلبة . أي البداية الجملة بوصفها وحدة لسانية قابلة للتحليل إلى شطرين أساسيين ، ينعتان على التوالي بركن فعلي وركن اسمي، وهكذا..

3- **طريقة التشجير :** وهي أكثر الطرق التوزيعية انتشارا وقبولا، ولاسيما عند أصحاب النظرية التوليدية والتحويلية، وهي الفكرة التي تبناها تلميذه نعوم شومسكي (N. Chomsky)، وطورها، وقدم بها إلى الدرس اللساني نظرية كبيرة، كان لها الصدى في كل البحوث اللغوية المعاصرة، وهي النظرية التوليدية/ التحويلية؛ ولأن أجزاء الكلام لا تنتظم في اللغة بالصدفة، ولا بالاعتباط وإنما بالاتساق مع الأجزاء التي تندرج فيها، وفي الأوضاع بعينها دون أوضاع أخرى[4]، فقد قدم لنا الركيزة الثانية التي قامت عليها نظريته في تحليل الخطاب وفرضيته التوسعية للسانيات .

الأمل يفتح الأبواب =

المرحلة الأولى: ج= مركب اسمي= الأمل

مركب فعلي= 1-يفتح 2-الأبواب

المرحلة الثانية: أداة تحديد=ال -عنصر اسمي= أمل

فعل= يفتح مكون اسمي=الأبواب

المرحلة الثالثة: أداة=ال ، اسم= أمل، فعل=يفتح، أداة تحديد= ال، اسم =أبواب

ويشير جذر الشجرة في الأعلى إلى المكون الرئيس- الجملة، وتشير كل عقدة إلى مكون واحد قابل للتجزئة، في حين تشير العقد النهائية إلى الوحدات النحوية الصغرى.

[4]- ينظر: ديتر فهيفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 21.